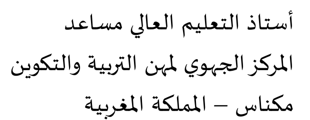


الفلاحون والفلاحة في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط

من خلال كتب الأمثال الشعبية



د. سعيد بنحمادة



أستاذ التعليم العالي مساعد

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين

مكناس – المملكة المغربية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

سعيد بنحمادة، الفلاحون والفلاحة في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية.- دورية كان التاريخية.- العدد الثاني والعشرون؛ ديسمبر ٢٠١٣. ص ١١٦ – ١٢٢.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخَصْ

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة إبراز دور كتب الأمثال الشعبية في التأريخ للنشاط الفلاحي وصور من الحياة الاجتماعية للفلاحين بالمجال القروي في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، وتجاوز النقص المصدري الذي تعاني منه المصنفات التقليدية في هذا المجال، والتي تركز على التاريخ الحدثي، وتغفل الحياة الاقتصادية والاجتماعية والذهنية بالبوادي خلال المرحلة المعنية بالبحث؛ معتمدين في ذلك على كتابي "ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام" (أمثال العوام في الأندلس) لأبي عبد الله أحمد بن أحمد بن يحيى الزجالي (ت. ٦٩٤هـ/١٢٩٥م)، و"حدائق الأزاهر" لأبي بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي (ت. ٨٢٩هـ/١٤٢٥م).

مُقَدِّمَةٌ

تحضر البادية المغربية والأندلسية في الكتابات التاريخية بصورة لا تناسب أحيانًا ما قامت به من أدوار في البنية الاقتصادية والاجتماعية للمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط؛ إذ أَلِفت المصادر الإخبارية التفصيل في مناقب الخلفاء والسلاطين، ليظل "الفرد" و"السياسة" و"الكرونولوجيا" أساس رواياتها؛[١] وإن احتوت على إشارات قليلة ذات صلة بالتضاريس والمناخ والإنتاج الزراعي والحيواني والغابوي.[٢] أما الدراسات الأجنبية، فركّز بعضها على الصراعات والتحالفات القبلية، ونزوات الحكام، يبدو معها تاريخ المغرب والأندلس وكأنه تعاقب لحوادث من دون آفاق، بفعل استحواذ وقائع الحرب على اهتمامات المستشرقين.[٣] ولم تحظ قضايا الفلاحة إلا باهتمام بعض الباحثين العرب في العقود الأخيرة، الذين ازداد حرصهم على البحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والذهنيات.[٤]

أهمية المصادر الدفينة في كتابة تاريخ البادية

ولتجاوز مثل هذه العوائق المعرفية والخلل المنهجي يبقى من الواجب مراجعة مفهوم الوثيقة؛ إذ أضحى لزامًا تخطي التحديد التقليدي لها، وتوسيع دائرة القراءة لتشمل متونا قد تبدو لأول وهلة لا صلة لها بصناعة الكتابة التاريخية، والاعتماد على ما تقدمه "المصادر الدفينة" أو "المصادر غير الإرادية"؛ التي بفضلها يمكن استقاء مادة معرفية تسعف في إعادة قراءة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والذهني للمغرب والأندلس، وتجاوز المألوف والبديهي من الأحكام والرؤى والتصورات بدعوى قلة المادة المصدرية. ويقصد بـ"المصادر الدفينة" كتب الجغرافيا والرحلات، والموسوعات القديمة، ومدونات النوازل الفقهية، ومصنفات الشروح للمتون الدراسية، والدواوين الشعرية، وكتب المناقب والأنساب، ووثائق الحوالات الحبسية، ومجموعات المراسلات، وغيرها.[٥] ومن ثَمَّ تمثل كتب الأمثال الشعبية أنموذجًا لتلك المصادر، لما تحتويه من معلومات تهم الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للعدوتين، ومنها ما يتعلق بالنشاط الفلاحي بالمشاهد الفلاحية بالبادية المغربية والأندلسية، وموقف العامة من ذلك.

العامة والفلاحة

وقد أسهمت المعطيات الجغرافية والتقنية والبشرية في المغرب والأندلس في بلورة الموقف الشعبي الإيجابي إزاء النشاط الزراعي، المستجيب للبنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمعين؛ لذلك اعتبرت الفلاحة أغنى المكاسب، لأن "بالغراسات والزراعة تكثر بمشيئة الله الأقوات"،(٦) وهو ما يفسر الرغبة في نشر الثقافة والخبرة الفلاحيتين على أوسع نطاق بين المهندسين والمتعيشين من خدمة الأرض على السواء؛ كما عبر عن ذلك ابن العوام (من أهل القرن ٧هـ/١٣م)، الذي وضع مصنفه لـ"حفظ أبوابه وفصوله ومعانيه، لِمَنْ يريد أن يتخذ هذا الفن صنعة يصل بها بحول الله إلى معاشه، ويستعين بها على قوته وقوت عياله وأطفاله، وجد فيه حاجته وبلغ فيه إرادته، واستعان بذلك على منافع دنياه ومصالح أخراه"؛(٧) حتى تتحقق المقاصد التعبدية والغذائية للعمل الزراعي، وتشمل "منفعته زكاة الحبوب والثمار ونحوها، وهو ضروري للإنسان في معاشه، ولذلك اشتق اسمه من الفلاَح وهو البقاء".(٨)

التقويم الفلاحي الشعبي في البادية المغربية والأندلسية

كما مكنت الممارسة اليومية للنشاط الفلاحي من قِبل العامة من صياغة تقاويم فلاحية شعبية لا تقل واقعية عما درج عليه علماء الفلاحة في مصنفاتهم؛ إذ استمد التقويم الفلاحي الشعبي أهميته من الاحتكاك المباشر لتلك الفئة الاجتماعية بالحقول، وما تميز به بعضهم من حس تجريبي،(٩) ما دام أنهم أشبه باليونانيين في "استنباط المياه ومعاناتهم لضروب الغراسات، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة".(١٠) وذلك ما تشهد به الروايات المسيحية، التي لم يخف أصحابها إعجابهم بما بذله الأندلسيون من جهود سقوية؛ فحسب تلك الشهادات فقد امتدت ببادية غرناطة "البساتين والبقاع الوارفة، تسقيها مياه القنوات،... [والعرب] يحبون البساتين وهم في غاية البراعة في زراعتها وسقيها إلى درجة لا مزيد عنها".(١١)

بات من الطبيعي إذن في ظل تلك الاعتبارات أن يتضمن الخطاب اليومي للعامة في المغرب والأندلس تقويمًا فلاحيًا شعبيًا يشدد على مكانة الماء في خدمة الأرض؛ فهو في تقديرها جليل القدر، ومصدر الرزق، وأساس الغنى؛ فـ"الرزق في البير"، و"أربعة أشياء جعلها الله رخيصة مع جلالة قدرها وعظم خطرها: الماء، والملح، والزجاج، والشعر أهونها"، و"من قاد الما، قاد الغنا".(١٢)

وبالنظر لطبيعة المناخ، فقد خلفت الاضطرابات الجوية آثارًا على الإنسان والمجال، لذلك عكس التقويم الفلاحي الشعبي خلاصة التجارب الزراعية اليومية، من قبيل الاستدلال على الأحوال الجوية الموسمية، وتأثيرها على الماء من حيث الوفرة والقلة، وعلاقة ذلك بالمحاصيل الزراعية؛ كالخريف الذي يقترن ببداية انخفاض الحرارة ونزول الأمطار؛ إذ تقول العامة: "إذا رَيت الخوخ والرمان، فكّر في ثيابك أيها العريان"، في إشارة إلى بداية نزول الأمطار وانخفاض درجات الحرارة؛ و"إذا نوّر الغْريس، ما يوجَد للحَرّ قيْس"؛ و"إذا رَيت التين، أبشر بالطّين"؛ لأن التين يظهر في آخر الصيف بالمغرب والأندلس، ولذلك فهو مؤشر على قرب حلول الخريف، الذي يبدأ فيه نزول المطر؛ و"إذا رَيت الضّباب، أبشر بالطيّاب"؛ و"إذا رَيت بالغُدو، خَلِّ دوابك يرْقدُ، وإذا ربت بالعَشي يسَّر دوابك للمشي"، بمعنى أن الجو إذا كان مضطربا وينذر بالمطر، لا ينبغي الإقدام على السفر، أما إذا كان صحوا فيمكن السفر دون خشية التساقطات؛ كما تنبهت العامة لـ"أرياح مارس وجوائح أبريل"؛ وتساءلت "متى هو البرد؟، قال: إذا نزل الشتا".(١٣)

أما فصل الربيع، فقد اقترن بطول النهار ونضج بعض المزروعات؛ فـ"غدوة مارس وعْشيَّت أبريل، تْشَيَّب الأسير"، بمعنى أنه من أثر طول النهار فهما يحصل الجوع للمرء؛ و"فأبريل يعتدل المؤخّر والبكير"، أي أن الزرع تبدو سنابله في أبريل، سواء ما زرع أول الموسم أو ما بذر آخره لأهمية تساقطات شهر مارس.(١٤) في حين نُبذ الكسل والفتور في الصيف والشتاء لأنهما عماد الموسم الفلاحي، حيث كثافة النشاط الزراعي؛ إذ سخر العوام ممن "رقد مارس وأبريل وجا في وقت حصاد الشعير"؛ وفي نظرهم "لِس يقال الفتى فتى حتى يقَيَّل في الشتا"، والفتى المملوك، ويقيّل من القيلولة؛ و"هيدَ هي الصيف، من حب لقط، ومن حب رقد".(١٥)

وقد تميز التقويم الفلاحي الشعبي ببعد احتفالي، جعله يقترن بأعياد وعادات اجتماعية؛ مثل الاحتفال بـ"العنصرة" أو "المهرجان" في ٢٤ من يونيو،(١٦) و"النيروز" في ٢٩ من غشت، حيث كان يتم ادخار بعض المنتوجات كالأترج إلى هذا اليوم؛ فـ"من ماعُ تُرنُجَ لينَّير يرفعها"،(١٧) ومن المغاربة والأندلسيين مَنْ كان يصوم هذا اليوم،(١٨) و"الحاجوز"، وهو رأس السنة الفلاحية، الذي عُرف بالإفراط في الأكل من شدة البرد، ورجوع الناس إلى مدخراتهم؛ ففي "الحاجوز يفطن الجَروز"، والجروز النَّهِم الأكول الذي فرَّط في جمع قوته وقت الصيف، حتى إذا جاء الشتاء تنبه بعد فوات الأوان.(١٩)

أما فيما يتعلق بالممارسة اليومية للنشاط الزراعي بالحقول، فقد أدركت العامة أهمية الأمطار؛ فـ"لو كان الرزق بالطياب، ما ملُّ أحد"؛ والطياب الصحو، والمثل منتزع من طبيعة الأندلس والمغرب اللذين تعتمد فلاحتهما على التساقطات؛ و"مطر فبريل، خير من فيض النيل".(٢٠) وميزوا بين الزراعة البورية والبعلية، وأكدوا فعالية جر المياه من الآبار والأودية إلى البساتين للسقي؛ من خلال قول العامة: "أكبر يا كُميمن غدًا يسقيك سْليمن"، والكمون يسقى قبل الإنبات وينقى من الربيع بعد نباته، ولا يسقى إلا إذا نور؛ والمثل القائل: "الرزق في البير"؛ و"أعمق من بير ابن صمادح الذي وقع فيه الحمار جذع ووصل لقاع"؛ وهو بئر كان قد أحدثه في جوفي المرية المعتصمُ بالله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح، أحد ملوك الطوائف في الأندلس خلال القرن (٥هـ/١١م)؛ وقولهم: "ما بقا للسقا فالواد"، وهو مثل يدل على كثافة استغلال مياه الأودية.(٢١)

دورية كان التاريخية. محكّمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

كما اعتمدوا في الري على تقنيات كـ"القادوس"، وهو كوز يربط بدولاب الساقية،(٢٢) و"البكار"، وهي خشبة مستديرة في وسطها محز يستقى عليها من البئر،(٢٣) و"الخطارة"،(٢٤) و"الناعورة"،(٢٥) و"السانية"،(٢٦) والأرحاء باعتبارها أحد مكونات المشهد الفلاحي في البادية المغربية والأندلسية.(٢٧) وقد أدركت العامة ما كانت تتطلبه هذه التجهيزات من تكاليف مالية، وجهود بشرية، وخبرة هندسية؛ إذ تقول أمثالهم الشعبية: "القطاع تطلَّع الماء للصُّمَع"،(٢٨) وهذا ما يذكر بتجربة ابن مدرك الأندلسي وطموحه لعمل آلة تتحرك في الساقية دون محرك، مما أثار سخرية أبي سعيد بن قالوس الشاعر، فسخر منه بقوله:

قل لابن مدرك الذي لم يدرك
إخراج ماء البئر دون محرك
طرق الحماقة جمة مسلوكة
وطريق حمقك قبل ذا لم يسلك(٢٩)

وقد جعل ذلك الماءَ يحظى بالاهتمام في الحياة اليومية، دون أن تؤدي قلته إلى المخاطرة باستعمال المياه الملوثة والراكدة؛ إذ جاء في الأمثال الشعبية: "طعنة بمزرق، ولا شَرْب من بير أزرق"؛ و"لا تهرق ما حتى تجد ما".(٣٠) والمثل الأول شبيه برواية أبي عبيد البكري (ت. ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) عن إحدى مناطق إفريقية التي يقول عنها: "وبإزاء مدينة مرسى الخرز بير وبية الماء تعرف ببير أزرق، يقول أهلها: طعنة بمزراق خير من شربة من بير أزرق".(٣١)

وكان من تجليات غنى الغطاء الفلاحي البستاني وتنوعه، تغني العامة بالخصوبة، كـ"الشرف" بضاحية مدينة إشبيلية المشهور بزيتونه وزيته؛ فـ"زيتون الشرف، ما زاد وَقْر، زاد فقر"؛(٣٢) وإشبيلية نفسها المعروفة بالطرب والخلاعة من شدة اعتياد أهلها على الخروج للنزهة بالبساتين؛ إذ "طريانَ تفتك، وإشبيليَ تَغْرَم الجُعْل"؛(٣٣) والمقصود بطريان مدينة طريانة على شاطئ الوادي الكبير في مقابل إشبيلية، والجعل الأجْر. وقد ذكر الحميري (ت. ٨٦٦هـ/١٤٦١م) ما يشبه هذا المثل؛ فحسب روايته أن "إشبيلية تفتك، وطريانة تؤدي الجعل".(٣٤) كما اقترنت مدينة جيان في الذهنية الشعبية بالخصب ووفرة الخيرات ورخص الأسعار وتعدد المرافق؛ إذ في اعتبار العامة: "امدح البلدان واسكن جيان"؛(٣٥) ومدينة استجة التي إذا "ذكرت المدن قامت استجة تَجُن"، أي تزهو وتختال؛(٣٦) ومدينة وادي آش القريبة من غرناطة والمشهورة بأنهارها وبساتينها ومنتزهاتها، رغم عدم الاستفادة منها؛ لأن "ثمار وادي آش لا ظل ولا طعم".(٣٧)

إلا أن هذه الصورة الإيجابية للتقويم الفلاحي الشعبي لا يجب أن تصرفنا عما خلفته الاضطرابات المناخية من وشم في الذاكرة الجمعية بفعل توالي العواصف والصواعق والسيول؛ مثل "أَرياح مارس وجوائح أبريل"؛(٣٨) المتلفة للمحاصيل؛ فـ"كل شي حشيش حتى يحصل فالبليش"، والبليش: قفة كبيرة يحفظ فيها الخبز والدقيق؛ والمعنى أن المحاصيل مهددة بالجفاف في كل حين إلا بعد حصادها وجمعها. وقول العامة: "لا تمدح العصير حتى تقلع النوالة"، والعصير: العنب والتين، والنوالة: كوخ الناطور، وقلعها كناية على انتهاء الموسم الفلاحي وضمان المحصول؛(٣٩) لأنه إذا حصل ذلك غلت الأسعار.(٤٠) لذلك دأبت العامة على التشكي من التقلبات الجوية؛ من مثل قولهم: "فالبَرْد نِوَحْوَح، وفي الحَر نروَّح"؛ و"لا راحَ فالسَّمَا، ولا راح فالما".(٤١)

وربط الجفاف ببعض العادات الاجتماعية كالتشاؤم من قلب الثياب لغير استسقاء؛ فـ"النَّحس النحيس، الجُب تحت القميص"؛ إذ العادة في الزي المغربي والأندلسي أن تلبس الجبة فوق القميص، لذلك تشاءم المغاربة والأندلسيون من قلبها لغير استسقاء؛ و"ثلاثة تدل على نحس المرء: إذا لبِس ثيابه يجيه الأَمَام لَوْرا، وإذا رمى بقُرقه ليلبسه يْجي وجهُه إلى الأرض، وإذا جلس قِطُّه يَرُد صُلْبُه إليه"، والقرق: النعل.(٤٢) أما عند حلول القحوط فكانوا يقومون بـ"الاستغفار بصوت واحد، والطواف على الأزقة والمساجد، رافعين أصواتهم بالدعاء والذكر".(٤٣)

ولعل هذه التداعيات المائية وأثرها على الإنسان والمجال هي التي جعلت الوضع الاجتماعي للفلاحين في المغرب والأندلس يقترن في الخطاب الشعبي بالفقر والوضاعة؛ ففي نظر العامة "ثلاثة من الناس ما يلباس غفار، ولا يوقد قنديل في منارا، ولا يولد في طنجهار: صياد بصنارة، وميار بحمارة، وجَنّان بخطارة"؛ وكذا المثل الشعبي: "فقير وبدوي، ما يدوي"،(٤٤) بما ينسجم والتحليل الخلدوني المعتبر "الفلاحة من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو،... ويختص منتحله بالمذلة".(٤٥) وإذا كانت التدبير الزمني للمعرفة والممارسة الفلاحيتين لدى العامة لا يختلف كثيرًا عن المنظور الزراعي العالِم، فإن ذلك لا يعني أنه لم يسلم من "الحس المشترك" وملامستها للمتخيل، لأن بعض الفلاحين لم يسعوا إلا إلى تقليد ما درج عليه "أهل الغباوة من أهل البوادي الذين لا علم عندهم ولا تلوح لرأيهم على طول ممارستهم لهذه الصنعة وارتباطهم بها".(٤٦)

ومن مظاهر ذلك أنهم نسبوا لبعض الأنواء أثرًا في تخصيب الموسم الفلاحي؛ فقد اعتقدوا أن نوء الذراع، الذي يكون في الرابع من يناير، هو المحدد لخصوبة السنة ووفرة الغطاء النباتي، لأنه، في نظرهم، من الأنواء المحمودة المقترنة بالأمطار؛ "فإن أخلف أثّر في العام ونقص من خصبه،... وإذا نزل المطر في نوء الجبهة والذراع والثريا والسماك تم خير العام وخصبه، وإذا كان في هذا اليوم رعد دل على خصب العام وخيره وبركته، وفيه يجري الماء في العود".(٤٧) ويبين الجدول الآتي بعض معالم التقويم الفلاحي الشعبي من خلال "تقييد في الأنواء وشهور السنة" لمؤلف أندلسي مجهول:

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الشهر	اليوم	النوء	دلائله في التقويم الفلاحي الشعبي
يناير	٤- ٨	الذراع والجبهة والثريا والسماك	إن أخلف أثر في العام ونقص من خصبه. إذا نزل المطر تم خير العام وخصبه، وإذا كان في هذه الأيام رعد دل على خصب العام وخيره وبركته. وفيها يجري الماء في العود. وفي الثامن منه يأتي الجراد ويرخص الطعام بالمشرق. وإن كان فيه رعد والقمر ناقص فآخر السنة صالح.
	١٥		يتمكن جري الماء في العود.
	١٩	الشولة	إن كان فيه رعد دل على خصب السنة.
	٢٩		إن كان فيه رعد دل على قحط السنة.
فبراير	١٣	الجبهة	إذا كسف فيه القمر دل على كثرة الأمطار من غير إجحاف ولا ضرر بالعباد. وإن كان فيه ريح من غير مطر فالفساد يقع في الثمار. وإن كانت زلزلة دلت على خصب العام.
	٢٦	الزبرة والخرثان	لا يخلو من مطر شديد.
مارس			إن كسف القمر في هذا الشهر دل على الخصب، وإن كان فيه رعد والقمر في نقصان دل على الجوع.
	١	فرغ المقدم	مطره يفسد السنة.
	١٥		إن وقع فيه مطر صلح النخل.
	٢٠		إن أمطر الليلة واليوم دل على خصب العام.
أبريل	٦	السماك	مطره محمود يخلص العام.
	٢٧		أول مطر نيسان، إن كان فيه مطر أصلح الزرع صلاحا عظيما، وما يعجن من الخبز بماء مطر نيسان اختمر دون خميرة. وإن كسف القمر فيه كثر المطر. وإن كان فيه رعد والقمر في زيادة يشتد من العام آخره، وإن كان في نقصان فالخير عامّ.
ماي	٥		آخر مطر نيسان.
	١٤	الإكليل	يستشأم منه لأنه يكون إثره مرض.
	٢٨	القلب	يسمى مطره الرمضا.
يونيو	٢٤		يوم العنصرة، لا يسوس ما حصد فيه من زرع ولا يلحقه آفات.
يوليوز			كسوف القمر فيه دليل على كثرة المحاصيل الزراعية.
	١٢		دخول السمائم، وهي أربعون يوما، عشرون من هذا الشهر، وعشرون من الذي بعده.
	١٩	سعد الذابح	مطره رمضا.
غشت			إن كسف فيه القمر دل على الخصب والرخاء. وإن كان فيه رعد والقمر في زيادة دل على قلة المطر.
	٣		إن وقع فيه مطر قحط خريف تلك السنة.
	١٥		أول يوم من الخريف، وفيه يسقط الندى.
	٢٠		آخر السمائم
	٢٩		عيد النيروز، يصب فيه الماء.
شتنبر			إن كسف فيه القمر دل على جوع ووباء.
	٢٢	الفرغ المؤخر	يسمى مطره مطر السلم، لأنه يسلم الأرض لمطر الوسم ليسم الأرض بالنبات.
أكتوبر			تتم فيه غراسة جميع المغروسات بعد نزول الغيث. إن كسف فيه القمر كان مؤذنا بالجوع الشديد.
			إن وقع فيه كسوف بالقمر دل على المطر.

ISSN: 2090 – 0449 دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية

الشهر	اليوم	النوء	دلائله في التقويم الفلاحي الشعبي
نونبر	١- ١٨ ١٥- ٢٩	الثريا والسماك والذراع والجبهة	إذا أمطرت تلك الأيام تم خصب العام وكمل خيره وتملكت الأرض بالري. ومطره في خَلَف لما قبله ولا خلف منه لما يأتي بعده. ونوء الثريا محمود في الجاهلية وفي الإسلام وفي كل ملة.
دجنبر	٥		دخول الليالي، فإن دخلت بالمطر صلح العام.
	٩	الهقعة	آخر مطر الليالي.
	٢٤- ٣١		إن أمطرت تلك الأيام السبعة مطرا غزيرا دلت على خصب العام، وإن كانت صاحية فالسنة قاحطة. وإن كان في أولها مطر كان في أول السنة مطر، وكذلك في الوسط وفي الأخير.

خاتمةٌ

ولّدت الممارسة الفلاحية في المغرب والأندلس، كما عكستها كتب الأمثال الشعبية، ثقافة زراعية لدى العامة، استندت إلى التجربة والبعد الزمني في خدمة الأرض بالعدوتين خلال العصر الوسيط، جعلها لا تقل أهمية عن الفكر الفلاحي لدى العلماء والمهندسين الزراعيين.

الهَوامِشُ:

(١) انتقد فرانسوا سيميان في مقالته *"Methode historique et science sociale"* تلك الثلاثية التي أسماها بـ"أوثان قبيلة المؤرخين *les idoles de la tribu des historiens*". أحمد العبادي: **التاريخ الاقتصادي: مدارسه ومناهجه**، منشور ضمن أعمال ندوة: **التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، الدار البيضاء، ١٩٩٢م، ج١، ص: ٥٤. إبراهيم القادري بوتشيش: **إسهامات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط**، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، 1997م، ص: ٣٣، ٣٤. ولتأكيد ما قلناه، نجد محمد بن علي بن هارون الغساني المشهور بابن عسكر (٦٣٦هـ/١٢٣٦م) يمدح الخليفة الموحدي أبا العلاء إدريس المأمون (٦٢٤، ٦٣٠هـ/١٢٢٦، ١٢٣٢م) غير آبه ببوادي المغرب والأندلس التي تضررت من الفيضانات. ابن عسكر وابن خميس: **أعلام مالقة**، تقديم وتخريج وتعليق: عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي/ بيروت ودار الأمان/ الرباط، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص: ١٩٢.

(٢) ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص: ٦٩، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٢٧٦، ٢٧٧، ٤٠٥، ٤١٤.

(٣) إيف لاكوست: **العلامة ابن خلدون**، ترجمة: ميشال سليمان، دار ابن خلدون، بيروت، ط١، ١٩٧٤م، ص: ٢٠.

(٤) راجع: سعيد بنحمادة: **الماء والإنسان في الأندلس خلال القرنين ٧ و٨هـ/١٣ و١٤م: إسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات**، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٧م، صص: ١٩٨، ٢١٦. والمراجع المذكورة هناك.

(٥) محمد المنوني: **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م/ ج١، ص: ٨. مصطفى الشابي: **أهمية المصادر الدفينة في كتابة تاريخ المغرب**، منشور ضمن الكتاب الجماعي: منشور ضمن الكتاب الجماعي: في النهضة والتراكم، دار توبقال للنشر، ط١، ١٩٨٠م، ص: ٣٤٧. عبد الأحد السبتي: **مصادر التاريخ الاجتماعي: تساؤلات حول مستويات النص التاريخي التقليدي**، منشور ضمن الكتاب الجماعي: في النهضة والتراكم، م. س، ص: ٤١٨.

(٦) ابن العوام: **كتاب الفلاحة**، دراسة وتعليق: غارسيا سانشيز وإستفان فرنانديز ميخو، مدريد، ١٩٨٨م، ج١، ص: ١، ٥.

(٧) نفسه، ج١، ص:١.

(٨) ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة الشركة المصرية للطباعة والنشر، م١، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص: ١٣٧.

(٩) القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص: ٥٤١.

(١٠) المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٦٨م، ج١، ص: ١٥١.

(11) H. Münzer, (1977): Viaje por España y Portugal, Reino de Granada, Granada, p: 45, 46.

(١٢) الزجالي: **ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام (أمثال العوام في الأندلس)**، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيل، فاس، ١٩٧١م، ق٢، أمثال رقم: ٥٢٦، ٥٣٢، ١٤٤٢، ص: ١١٨، ١٢٠، ٣٣٣.

(١٣) الزجالي: **ري الأوام**، أمثال رقم: ٩، ١٧، ١٩، ٥٦، ٦١، ١١٤، ١٤٧٩، ص: ٤، ٧، ٨، ١٨، ٣٠، ٣٤١.

(١٤) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثلان رقم: ١٧٣٣، ١٧٣٩، ص: ٣٩٦، ٣٩٩. ابن عاصم: **حدائق الأزاهر**، طبعة حجرية، فاس، مثل رقم: ٦٠٦.

(١٥) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، أمثال رقم: ٩٩٦، ١١٦٦، ١٩٣٤، ص: ٢٢٥، ٢٧٠، ٤٤٣.

(١٦) تقول العامة: "الكبش المصوف ما يكفز العنصرة"، "حتى تكون العنصرَ فينير"، "كفزها بحل عنصرَ"، ويكفز تعني يقفز على طريقة نطق الأندلسيين بالقاف، الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، أمثال رقم: ٣٧٣، ٨٥٩، ١١٤٨، ص: ٨٥، ١٩٥، ٢٦٧. وعن "العنصرة"، يراجع: عريب بن سعيد: **تقويم قرطبة**، نشر: رينهارت دوزي، ليدن، ١٩٦٠م، ص: ٦٥.

R. Dozy, (1968): Supplément aux dictionnaires arabes, Librairie du Liban, Beyrouth, t2, p: 181.

(١٧) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثل رقم: ١٤١٢، ص: ٣٢٧. ابن عاصم: **حدائق الأزاهر**، مثل رقم: ٦٨١.

(١٨) ابن الخطيب: **الإحاطة**، م٣، (ط١، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م)، ص: ٩٤.

(١٩) الزجالي: ري الأوام، ق٢، مثل رقم: ١٧٤٨، ص: ٤٠١.

(٢٠) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثلان رقم: ١٢٤٠، ١٥٣٢، ص: ٢٨٥، ٣٤٩. ابن عاصم: **حدائق الأزاهر**، مثل رقم: ٦١٦.

(٢١) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، أمثال رقم: ٢٩٧، ٥٢٦، ٥٤٥، ١٣١٤، ص: ٧٠، ١١٨، ١٢١، ٣٠٥. ابن ليون: **اختصارات من كتاب الفلاحة**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الرباط، رقم: ٢٧٦٥د، ص: ٣٠٦. ابن عاصم: **حدائق الأزاهر**، مثل رقم: ٧٠، ٣٠٥. الحميري: **صفة جزيرة الأندلس (قطعة منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار)**، نشر: إ.ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣م، ص: ١٨٤.

(٢٢) تقول العامة: "بُحل قادوس، الحبل على السَّوَّ". و"عيار القويدس، لا قاع علَش يجلس، ولا مقبض بش يحبس"، والقويدس تصغير للقادوس، الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثلان رقم: ٥٩٦، ١٦٥٩، ص: ١٣٥، ٣٧٨.

(٢٣) تقول العامة: "بحل ربعين في بير، يطيَّر الرشاش للبكارَ"، الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثل رقم: ٦٠٦، ص: ١٣٧.

(٢٤) تقول العامة: "ثلاثة من الناس ما يلباس غِفار، ولا يوقد قنديل في منارا، ولا يولد في طنجهار: صياد بصنارة، وميار بحمارة، وجنَّان بخطارة"، الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثل رقم: ٧٥٦، ص: ١٧٠.

(٢٥) تقول العامة: "حمار الغدير، أكحل أعمى"، والغدير الناعورة. و"مهندس بَلْمَ، اقطع العَجَل، اكسار البزّ"، و"بلم" لعلها Balma del Rio على الوادي الكبير، والعجل: العجلة أي عجلة الناعورة، والبز ما يربط بين أجزاء الخشب في الناعورة، الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثلان رقم: ٨٠٩، ١٥٣٤، ص: ١٨٤، ٣٤٩.

(٢٦) تقول العامة: "بحل حمار السانية، يمشي فارغ ويجي فارغ". و"سينية هيدور أبت ما تدور"، وسينية: السانية على طريقة الأندلسيين في الإمالة، الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثلان رقم: ٦٨٠، ١٨٦١، ص: ١٥٢، ٤٢٧.

(٢٧) تقول العامة: "أيما كان القمح لعين الرَّحا يرجع". و"انفض شداق الرحا". و"نصيب الجد فالرحا، لعق من عام لاخرْ". و"سهم سيل فالرحا، الرُّبُع في دوي جلاب"، والجلاب يبدو أنه الآلة التي يجلب بها الماء لإدارة الرحى، الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، أمثال رقم: ٢٩٥، ٤٥٩، ١٥٧٦، ١٨٣٤، ص: ٦٩، ١٠٤، ٣٥٧، ٤٢١. ابن عاصم: **حدائق الأزاهر**، مثل رقم: ٦٩.

(٢٨) والقطاع الدراهم، والصمع الصوامع، الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثل رقم: ٣٣٦، ص: ٧٩.

(٢٩) الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق: روجية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص: ٤٥٦.

(٣٠) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثلان رقم: ١٠٦٦، ٢٠١٦، ص: ٢٤٧، ٤٦٢.

(٣١) أبو عبيد البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، نشر: دي سلان، الجزائر، ١٨٥٧م، ص: ٥٥.

(٣٢) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثل رقم: ١٠٣٦، ص: ٢٣٥.

(٣٣) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثل رقم: ١٠٥٠، ص: ٢٤٢. ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ج١، ص: ٢١٤.

(٣٤) الحميري: **صفة جزيرة الأندلس**، ص: ١٢٧. وأما غرم أو تأدية طربانة الجُعَل فمرده إلى أنها كانت من منتزهات الإشبيليين على الوادي الكبير، وكان المعتمد بن عباد، أحد ملوك الطوائف، فرض على أهلها الاعتناء بتجميل الجهات الواقعة على النهر التي يرتادها أهل النُّزه.

(٣٥) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثل رقم: ٤٦٥، ص: ١٠٥. الحميري: **صفة جزيرة الأندلس**، ص: ٧٠.

(٣٦) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثل رقم: ٩٦٣، ص: ٢١٨. ابن عاصم: **حدائق الأزاهر**، مثل رقم: ٨٣٤.

(٣٧) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثل رقم: ٧٤٥، ص: ١٦٦. ابن عاصم: **حدائق الأزاهر**، مثل رقم: ٣٥١.

(٣٨) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثل رقم: ١١٤. كما تقول العامة: "أبرد من دق العطار الذي وقعت عليه الصاعق ولم يحترق". و"بْحَل رايس في نَوّ، يشيَّر بلحيته، وينطح بسرَّه"، والنو: النوء، ورايس: قائد السفينة. و"ثابت وهو يمضي في السيل". و"كل ما يجي من الغرب مليح، إلا ابن آدم والريح"، ويبدو أن هذا المثل هو من أمثال الأندلس الشرقي الذي تتوقف أمطاره على الرياح الشرقية. و"نحن فالغرق، وذا يصيح المردَدوش للغرس"، والغرق: الفيضان، والمرددوش: نوع من الأحباق، الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، أمثال رقم: ٥٤٤، ٦٥٢، ٧٤٨، ١٠٨٢، ١٥٥٦، ص: ٣٠، ١٢١، ١٤٦، ١٦٨، ٢٥٣، ٣٥٣. ابن عاصم: **حدائق الأزاهر**، مثلان رقم: ١٤٦، ١٤٩. المقري: **نفح الطيب**، ج١، ص: ١٣١، ١٣٢.

(٣٩) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثلان رقم: ١٠٨٣، ٢٠١٨، ص: ٢٥٣، ٤٦٣. ابن عاصم: **حدائق الأزاهر**، مثل رقم: ٤٦٣.

R. Dozy: Supplément aux dictionnaires arabes, t1, p: 111.

(٤٠) تقول العامة: "الغَلاَ جَلاَّب"، بمعنى أن تغيير الحال بزيادة السعر تدعو إلى الامتيار، الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثل رقم: ٢٨٦، ص: ٦٨.

(٤١) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثلان رقم: ١٧٥٤، ٢٠١٢، ص: ٤٠٢، ٤٦١.

(٤٢) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثلان رقم: ١٨٩، ٧٦١، ص: ٤٨، ١٧٢.

دورية إلكترونية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449



(٤٣) الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ج١، ص: ١٦٤. مؤلف مجهول: **الحديقة المستقلة النضرة الصادرة عن علماء الحضرة**، مخطوط بالإسكوريال، مدريد، رقم: ١٠٩٦، ورقة: ٣ب.

(٤٤) الزجالي: **ري الأوام**، ق٢، مثلان رقم: ٧٥٦، ١٧٧٥، ص: ١٧٠، ٤٠٧.

(٤٥) ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص: ٤٣٦. ابن الأزرق: **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق: علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٧هـ،١٩٧٧م، ج٢، ص: ٣١٣، ٣١٤.

(٤٦) ابن العوام: **كتاب الفلاحة**، ج١، ص: ٢. وعن الفلاحة العالمة في المغرب والأندلس، راجع: سعيد بنحمادة: **التراث الفلاحي الإسلامي في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط**، مقوماته ومراحل تطوره، ضمن أعمال ندوة: الفلاحة والتقنيات الفلاحية في العالم الإسلامي في العصر الوسيط، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء وكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس أكدال بالرباط، منشورات عكاظ، الرباط، ٢٠١١م، ص: ٥٩، ١٠٦.

(٤٧) مؤلف مجهول: **تقييد في الأنواء وشهور السنة**، مخطوط في المكتبة الوطنية، الرباط، رقم: ٢٧٦٥ د، (ضمن مجموع)، ص: ٣١٠.

دورية إلكترونية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449